

TRENDS
Economic studies
ترندز
للدّراسات الاقتصاديّة
Trends ekonomi politikaları araştırma merkezi

ورقة علمية بعنوان

أسْباب التّدخُّل العَسْكَري التُّركي في الشّمال السّوري

يحيى السيد عمر

يونيو 2021

مركز ترندز للدراسات الاقتصادية

مُؤسَّسة بحثية عِلْمية مستقلّة؛ تهتم بدراسة وتحليل الأحداث الاقتصادية المحلية والإقليمية والعالمية، وتداعياتها على الجوانب السياسية والاجتماعية. يعمل المركز على دراسة تأثيرات الأحداث الاقتصادية على الواقع السياسي والإستراتيجي في سوريا وعموم المنطقة، وتحليل تداعياتها وانعكاساتها. كما يُعنَى المركز بدراسة الواقع الحالي للبنى الاقتصادية الإقليمية والدولية، وتحديد العلاقات فيما بينها بما يُشكّل دعمًا حقيقيًّا لصُنّاع القرار، ويُشكّل قيمة اقتصادية مضافة لرجال ورواد الأعمال والمهتمين بالشأن الاقتصادي.

TRENDS Economic studies | ترندز للدراسات الاقتصادية
Trends ekonomi politikaları araştırma merkezi

للتواصل مع المركز

info@trendsstudies.org
trendsstudies.org

جميع الحقوق محفوظة لمركز ترندز للدراسات الاقتصادية

فهرس

مُلخّص	4
مُقدّمة	5
المبحث الأول	
سوريا وتركيا عَلاقات تاريخية مُتذَبْذِبة	7
المَبحَث الثّاني	
الثَّوْرة السّورية في نظر الدّولة التُّركية	11
المَبحَث الثّالث	
التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري	18
خُلاصة واستنتاجات	28
قائمة المراجع	29

مُلخّص

تَهدف هذه الوَرَقة لدِراسة أسْباب التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري، ولتحقيق هذا الهَدَف قامت الوَرَقة بدِراسة تاريخية سريعة للعَلاقات التُّركية السّورية، وابتدأت هذه الدّراسة بالعصر العُثْماني مرورًا بالعصر الحديث حتى الوصول للوقت الحالي.

واعتمدت الوَرَقة على مَنْهَجيْن بَحْثييْن؛ هما الواقعية السّياسية والمنهج البنائي.

وخلصت الدّراسة إلى أن الأسْباب الحقيقية للتَّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري تَتَمَثَّل بالأسْباب الإستراتيجية والأمنية والأخلاقية، إضافةً للأسْباب المُتعَلِّقة بالمُتَغيّرات السّياسية الدّاخِلية في تركيا. وخلصت الدّراسة أيضًا إلى أن التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري من المتوقَّع أن يستمر باستمرار الأسْباب التي أدَّت لحُدوثه.

مُقدّمة

ترتبط تركيا وسوريا بعَلاقات تاريخية طويلة، تمتد لعدّة آلاف من السَّنوات، والسبب الرئيس في هذه العَلاقات هو القرب الجغرافي، فتركيا تشترك مع سوريا بحدود برية يتجاوز طولها 822 كم، هذا بالإضافة للتَّداخُل الثَّقافي والاجتماعي والدّيني بين السّوريّين والأتراك، ولهذا فإن العلاقة بين هاتين الدّولَتَيْن تُعتَبر على درجة بالغة من الأهمية لكليهما.

ويمكن وباستعراض سريع لتاريخ العلاقة بين سوريا وتركيا ملاحظة أن هذه العلاقة لم تكن مُنْتَظِمة، فتراوحت بين الاتّفاق التّام وبين العداوة التّامّة. ولعل هذه العلاقة شهدت في العقدَيْن السّابِقَيْن تذبذبًا واضحًا، فانتقلت من خانة التّحالف الإستراتيجي إلى العداء المباشر والصدام العَسْكَري المباشر بعد انطلاق الثَّوْرة السّورية عام 2011، وبشكلٍ عامّ شهدت العَلاقات التُّركية السّورية في ظِل الثَّوْرة السّورية تدهورًا متسارعًا ودراماتيكيًّا إلى أنْ بلغ لمرحلة التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري، وممّا لا شَك به أن هذا التّدَخُّل أتى نتيجة لظروف محلية في الدّاخِل التُّركي وفي الدّاخِل السّوري، ونظرًا لأهمية هذا التّدَخُّل على مستقبل العَلاقات بين الدّولَتَيْن وعلى مُستقبَل العَلاقات والتّحالُفات في منطقة الشَّرْق الأوسط برُمّتها ستتناول هذه الوَرَقة دراسة أسْباب هذه التّدَخُّل من عدّة زوايا.

وتنطلق هذه الوَرَقة في تحقيق هدفها البحثي من الإشكالية البحثية التالية: "ما أسْباب التّدَخُّل التُّركي في الشَّمال السّوري؟"، كما تنطلق هذه الوَرَقة في مُعالجتها لمشكلتها البحثية من عدّة فرضيّات هي:

الفَرْضية الأولى: للعوامل الإستراتيجية دَوْر في التّدَخُّل التُّركي في الشَّمال السّوري.

الفَرْضية الثّانية: للعوامل السّياسية الدّاخِلية التُّركية دَوْر في التّدَخُّل في الشَّمال السّوري.

الفَرْضة الثّالثة: للعوامل الأخلاقية والعِرْقية دَوْر في التّدَخُّل التُّركي في الشَّمال السّوري.

ولاختبار صِحّة الفَرْضيات ستعتمد الوَرَقة على منهجيْن اثنيْن، وعلى الرَّغم مِن تباين هذين المنهجَيْن في جوهر مقاربتهما للأحداث السّياسية إلّا أن هذا التّبايُن ضروري للإحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه، لا سيما أن القرارات السّياسية نادرًا ما تكون نتيجة لدافع واحد، بل هي نتيجة لجملة دوافع مختلطة. وفيما يلي تبيان هذه المناهج:

- **المنهج الأوَّل:** الواقعية السّياسية: تستمد الواقعية السّياسية أهمّيّتها من كونها تَعْتمد على الحقائق العلمية والتّفكير العَميق والعقلاني، وتتضمّن طابعًا علائقيًّا بين العديد من المفاهيم والتّغَيُّرات، وينطلق هذا المنهج من أن الدّولة تقوم بأي فِعْل بهدف الحفاظ على مصالحها ومصالح شعبها ولو بالقوة.
- **المنهج الثّاني:** المنهج البنائيّ: ينطلق المنهج البنائي من أن للهوية السّياسية والمجتمعية دورًا في رَسْم مَعالم السّياسة الخارجية والدّاخِلية للدّول، وأن الهويّات المُختَلِفة والمُتَباينة للدّول هي التي ترسم ملامح عَلاقاتها البَيْنية.

المبحث الأوَّل

سوريا وتركيا عَلاقات تاريخية مُتذَبْذِبة

فرَض القُرب الجغرافي على الدّولَتَيْن السّورية والتُّركية الدُّخول في عَلاقات مُتشَعِّبة، وهذا الأمر أدَّى لتذبذب في العَلاقات بين عَلاقات التّعاون والتّنافُس، وأحيانًا الصِّراع، وهذا الأمر لا يرتبط بالمرحلة الحالية فقط، فالجُذور التاريخية للتَّذَبْذُب بين الدّولَتَيْن يعود إلى فترة الدّولة العُثْمانية والحُكْم العُثْماني لسوريا وللبلاد العربية.

وهنا وَلِفَهْم طبيعة العَلاقات السّياسية بين سوريا وتركيا لا بُد من النَّظر إلى هذه العَلاقات قبل ظهور الدّولَتَيْن السّورية والتُّركية بشكلهما الحالي، ففي ظِل الدّولة العُثْمانية ولاحقًا وبعد ظهور الدّولة التُّركية الحديثة بقيت العَلاقات بين تركيا وسوريا بين مَد وجَذْر، وإن كانت عَلاقات التّنافُر هي العَلاقات السّائدة بينهما، ووصلت لمراحل مُتقَدّمة من التّوَتُّر، والّذي كاد أن ينتهي بصدام عَسْكَري لا سيما في نهاية التّسعينيّات من القرن الماضي، وهنا -وكما أسلفنا- لا يمكن فَهْم طبيعة العلاقة بين تركيا وسوريا بشكل دقيق دون دراسة هذه العَلاقات في سياقها التاريخي.

الجُذور التاريخية للعَلاقات التُّركية السّورية

لا يمكن تحديد نُقْطة زمنية لبَدْء العَلاقات التُّركية السّورية، وذلك لعِدّة أسْباب؛ أهمّها عدم وجود فصل تاريخي واضح بين الدّولَتَيْن، فتاريخيًّا كانت تركيا وسوريا إمّا ضِمْن دولة واحدة أو كانتا مُتداخِلَتَيْن جُغرافيًّا؛ فالحدود السّياسية الحالية هي نتاج لمُعاهَدات واتّفاقيّات حديثة العهد تعود جميعها لبداية القرن العشرين، بدءًا من اتفاقية سايكس بيكو التي رَسَمَت الحدود السّياسية الحالية لسوريا، إضافةً لاتفاقية لوزان التي رسمت الحدود السّياسية للدولة التُّركية الحالية، وحتى هذه الحدود شهدت بعض التّغَيُّرات كضم لواء اسكندرون "هاتاي" إلى الدّولة التُّركية عام 1939م.

فهذه التّغَيُّرات في الحدود السّياسية للدَّولتين تجعل من الصُّعوبة بمكان تحديد نقطة زمنية لنشوء العَلاقات السّياسية، وعمومًا وفيما يتّصل بهذه الوَرَقة فسنهتم بالعَلاقات بدءًا من العهد العُثْماني وصولًا للوقت الحالي، ففي ظِل الحكم العُثْماني كانت سوريا ولاية من ولايات الدّولة العُثْمانية، وحينها كان يُشار لسوريا بحدودها الطبيعية وليس بحدودها السّياسية الحالية، فكانت سوريا تشمل سوريا الحالية ولبنان وغالبية الأردن وفلسطين، هذا بشكلٍ عامّ، وكان يُشار إليها لسوريا الحالية ولبنان بشكل خاص.

تاريخيًّا كانت سوريا مصدرًا من مصادر التهديد للدولة العُثْمانية، فقد شهدت عِدّة حركات انفصالية أهمّها حركة "جان بردي الغزالي" الثَّوْرة على العُثْمانيين، والّتي قَضَى عليها السلطان سليمان القانوني، ولاحقًا قامت حركة فخر الدين المعني الثاني في القرن السّابع عشر، والتي شَكَّلَت تهديدًا حقيقيًّا للدولة العُثْمانية آنذاك، وتم قَمْع حركة التّمَرُّد على يد السلطان العُثْماني مراد الرّابع(1)، ولاحقًا وفي نهاية القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين نشطت في سوريا حركات سياسية وثقافية تدعو لاستقلال سوريا عن الدّولة العُثْمانية، وعند قيام ثورة الشريف حسين على الدّولة العُثْمانية عام 1916 أيّدت سوريا هذه الثَّوْرة(2)، وحمّلت تركيا لاحقًا عدّة دول عربية منها سوريا مسؤولية هزيمة تركيا في الحرب العالمية الثانية.

استمر التّوَتُّر بين الدّولَتَيْن السّورية والتُّركية في ظِل الانتداب الفرنسي على سوريا، لا سيما بعد ضَم تركيا للواء اسكندرن "هاتاي" عام 1939م(3)، وحتى بعد استقلال سوريا لم تَتحسَّن العَلاقات مع تركيا، بل بقي التّوَتُّر مُسَيطرًا على العَلاقات، وممّا

1. Traboulsi, Fawwaz. A History of Modern Lebanon. Brutish library, London, second published 2012, p5.

2. Teitelbaum, Joshua. Sharif Husayn ibn Ali and the Hashemite Vision of the Post-Ottoman Order: From Chieftaincy to Suzerainty. Middle Eastern Studies. Vol. 34, No. 1 Jan., 1998, p 112.

3. Yesiltas, Murat. NEIGHBORING A CIVIL WAR TURKEY'S BORDER SECURITY WITH SYRIA. Turkuvaz matbaacilik Yayincilik. 2015, p 15.

ساهَم في تأزيم العَلاقات بين الدّولَتَيْن اتّجاه سوريا للمعسكر الشَّرْقي ممثلًا بالاتّحاد السوفييتي سابقًا، واتّجاه تركيا للمعسكر الغربي المُمَثّل بحلف شمال الأطلسي، وهو ما شَكَّل تباينًا واضحًا بالبِنْية الاجتماعية والسّياسية لنظامي الحُكْم في البلدين، وظهر هذا التّبايُن في النُّظُم السّياسية بشكلٍ واضح من خلال حِلْف بغداد الَّذي أُسّس عام 1955م، وكانت تركيا أحد أقطابه، وهَدف هذا الحِلْف لإيقاف المد الشيوعي في منطقة الشَّرْق الأوسط، وعارضت سوريا هذا الحِلْف بشكلٍ مُباشِر(1)، كما ساهَم اعتراف تركيا بإسرائيل عام 1949م، ولاحقًا أقامت تركيا عَلاقات تعاون وطيدة مع إسرائيل، وهو ما رأت فيه سوريا تهديدًا لها لا سيما أنَّها كانت في حالة حب مع إسرائيل.

استمر العوامل التي سبَّبت تزايدًا في التّوَتُّر السّوري التُّركي، فظهرت أزمة مياه الفرات، عندما بالغت تركيا ببناء السُّدود على نهر الفُرات، والَّذي يُعْتَبر المصدر الرئيس للمياه العذبة في سوريا، ولضمان حقّها في مياه الفرات قامت سوريا بدَعْم حزب العُمّال الكردستاني المعارض لتركيا والَّذي شَن عِدّة عمليّات عَسْكَرية واغتيالات داخل الأراضي التُّركية، وفتحت سوريا لهذه الحزب مراكز تدريب على الحدود السّورية التُّركية وفي مناطق البقاع اللبنانية إبّان النُّفوذ السّوري في لبنان(2)، وهو ما كاد أن يُسبِّب صدامًا عسكريًّا بين الدّولَتَيْن عام 1998م لولا الوساطة المصرية والإيرانية.

شَكَّلت بداية القرن الحالي نَقْلة جذرية في العَلاقات السّورية التُّركية، مع وصول حزب العدالة والتّنْمية إلى الحُكومة التُّركية، ووصول بشّار الأسد إلى السُّلْطة في سوريا، وشهدت العَلاقات بين البلدين انتعاشًا واضحًا اقتصاديًّا وسياسيًّا وحتى اجتماعيًّا، وتم إلغاء تأشيرات السَّفر بين البلدين، وتَم توقيع عشرات الاتّفاقيّات

1. Yesilbursa, Behcet. The Baghdad pact. Anglo-American defense policies. Frank cass. 2005, p 9.

2. Orton, Kyle. The Secular Foreign Fighters of the West in Syria. SETA Foundation. Vol. 20, No. 3 Summer 2018, p 161.

التجارية والاقتصادية والسّياسية والأمنية، وبلغ حَجْم التّبادُل التّجاري بينهما أكثر من 2 مليار دولار، وعدد الاتّفاقيّات المشتركة أكثر من 50 اتفاقية(1)، كما قامت تركيا عام 2007 بلعب دور الوساطة بين سوريا وإسرائيل، لذلك يمكن القول بأن العَقْد الأوَّل من القرن الحالي شهد ذروة العَلاقات الجَيِّدة بين تركيا وسوريا، وهي كما يبدو من السّياق التاريخي حالة استثنائية، فالنمط الغالب على هذه العَلاقات هو التّوَتُّر.

سوريا حديقة خلفية لتركيا

تُعْتَبر سوريا ذات أهمية خاصّة لتركيا، فهي تشترك معها بحدود يبلغ طولها أكثر من 800 كم، وهي أيضًا البَوّابة الاقتصادية والتجارية للوصول إلى دول الخليج العربي، وحتى على المستوى الاجتماعي لا يمكن فَصْل السّوريّين عن الأتراك بفواصل واضحة لا سيما في المناطق الحدودية، كما أن هناك مجموعات من السّوريّين من أصول تركية تقيم داخل سوريا، ويُطْلق عليهم محليًّا اسم التركمان، فهذا التّداخُل المجتمعي يُعْطي سوريا أهمية ديمغرافية بالنِّسْبة لتركيا، وهذا ما كان واضحًا وجليًّا في تصريحات الرئيس التُّركي رجب طَيّب أردوغان، والَّذي قال عام 2016: "إخواننا في القرم والقوقاز وحلب والموصل يمكن أن يكونوا خارج حدودنا السّياسية لكنَّهم داخل حدودنا العاطفية"(2).

وكون سوريا كانت خلال قرون طويلة مصدر قَلق لتركيا ومصدر تهديد مباشر وغير مباشر، لهذا تحرص تركيا على ضمان استقرار سوريا، وعلى عدم اتّخاذ أي مجموعة مُناهِضة لتركيا مستقرًّا لها في الأراضي السّورية، كما أن استقرار سوريا ووجود حُكومة فيها غير مُناهِضة لتركيا يُشَكِّل عامل دَفْع لرؤية تركيا 2023م، كما أن موقع سوريا الجيوسياسي يُؤثِّر على تركيا، فكل هذا يجعل من سوريا حديقة خلفية لتركيا.

1. Akmehmet, Hande. The Costs of Turkey's Foreign Policy in Syria, Atlantic council, November 30, 2015, on site: https://cutt.us/2NmrR

2. أردوغان: حلب والموصل داخل حدودنا.. "العاطفيّة"، سكاي نيوز عربي، 10 نوفمبر 2016م، متاح على الرابط: https://cutt.us/7PTBf

المبحث الثّاني

الثَّوْرة السّورية في نظر الدّولة التُّركية

بدأت الثَّوْرة السّورية في عام 2011 وبدأت بمطالب الحرية وإصلاحات جذرية في النّظام السّياسي السّوري، ولاحقًا تَحوَّلت للمُطالبة بإسقاط النّظام، وتُعدّ هذه الثَّوْرة علامةً فارقةً في التّاريخ السّوري الحديث، ناهيك عن أثرها الإقليمي والدولي. وتُعدّ أيضًا من أهَم الأحداث العالمية التي شهدها العالَم في العقدَيْن السّابِقَيْن؛ وذلك نظرًا لحجم التّأثير الواسِع التي سبَّبته على العالم أجمع، بدءًا من تحوُّل سوريا لبؤرة للإرهاب العالميّ؛ نظرًا لنشاط الجماعات الجهادية التكفيرية في البلاد، وتهديدها دول الجوار، وليس انتهاءً بتسببها بلجوء عدّة ملايين من السّوريّين إلى دول الجوار السّوري وصولًا إلى الدّول الأوروبية، وبعد تعامل الحُكومة السّورية مع الثَّوْرة بطريقة دموية تحوَّلت الثَّوْرة إلى حرب أهلية داخلية، اشتركت فيها أطراف خارجية رسمية وغير رسمية، وتحوَّلت سوريا إلى ساحة للصِّراع العالمي، ناهيك عن دُخول المقاتلين الأجانب من عدّة جنسيّات بطُرُق غير مشروعة للمشاركة في الاقتتال الدّائر، وذلك بهدف دَعْم قوات النّظام السّوري ودَعْم قوى المعارضة إضافةً للانخراط في صفوف الجماعات المتطرِّفة بناءً لدوافع عقائدية، ومِمّا لا شَك به أن هذا الوضع السّوري الدّاخِلي المتأزم سبَّب تهديدًا للإقليم بالكامل وعلى الأخص لدول الجوار السّوري وعلى رأسهم تركيا.

أسْباب الدَّعْم التُّركي للثَّوْرة السّورية

حاولت تركيا مع بداية الثَّوْرة السّورية الوقوف في منتصف المسافة بين المعارضة والمطالب الشعبية من جهة وبين النّظام السّوري من جهة أخرى، ففي بداية الثَّوْرة حاولت تركيا إقناع الأسد بتقديم تنازلات وإصلاحات جذرية، وقام وزير الخارجية التُّركي آنذاك أحمد داود أوغلو بعدّة زيارات إلى سوريا التقَى خلالها كبار المسؤولين السّوريّين، إلّا أن النّظام السّوري لم يتجاوب مع المقترحات التُّركية،

وهذا ما أدَّى لارتفاع وتيرة اللهجة التُّركية الموجّهة للنِّظام، وبشكلٍ عامّ يمكن القول بأن تركيا لم تتأخر في تقديم الدَّعْم السّياسي واللوجستي للثَّوْرة السّورية، وبالتّأكيد فإن قرار الحُكومة التُّركية بدَعْم الثَّوْرة السّورية انطلق من جملة معطيات داخلية وخارجية، ذاتية وموضوعية، وفيما يلي تبيان لأهم هذه الأسْباب.

أهمية سوريا الإستراتيجية بالنِّسْبة لتركيا

تُعدّ سوريا دولة ذات أهمية كبرى بالنِّسْبة لتركيا، وذلك انطلاقًا من الواقع السّياسي والاقتصادي والدّيمغرافي والأمني، ولهذا فإن تركيا تُدْرك جَيِّدًا ضرورة الإبقاء على علاقة جَيِّدة مع أي نظام سياسي قادم في سوريا. كما أن نجاح ثورة تونس ومصر في وقت قياسي وتزعزع أركان حُكْم القذّافي بسرعة أعطى إيحاءً لمختلف الحكومات الإقليمية والدولية بأن سقوط نظام الأسد أمر ممكن ووشيك، ولذلك لا داعي للمُبالَغة في دعمه، كون دَعْم النّظام قد يضعف فرص التعامل مع أي نظام جديد، لذلك حرصت تركيا على تقديم الدَّعْم للثَّوْرة.

كما أن تباطؤ الدَّعْم التُّركي لثورة ليبيا في بداياتها أدَّى لإضعاف الموقف التُّركي في القضية الليبية لا سيما أن تركيا عارضت أي تَدَخُّل خارجي في ليبيا، واستمرَّت بعَلاقات جَيِّدة مع القذّافي، ولاحقًا وبعد وضوح مستقبل الثَّوْرة والتأكُّد بأن نظام القذّافي ساقِط لا محالة بدأت تركيا بتغيير موقفها من خلال دعوة مُمثِّلين عن المجلس الليبي الانتقالي لزيارة تركيا.

تعزيز زعامة تركيا في العالم الإسلامي

بدءًا من فترة حُكْم حزب العَدالة والتّنْمية بزعامة أردوغان سعت تركيا لزيادة حضورها الإقليمي والعالمي، وظهر سُلوك الدّولة التُّركية كدولة ساعية لتكون دولة محورية في الإقليم، وبشكلٍ عامّ سعت تركيا للعمل على صَعيدَيْن مُتوازيَيْن؛ الأوَّل الاتّجاه نحو الغرب والثاني نحو الشَّرْق، فقبل وصول حزب العدالة والتّنْمية للسُّلطة كانت تركيا تميل بشكلٍ واضح للعالَم الغربي، وساد لعقود طويلة إهمال تُركي للعالَم العربي والإسلاميّ؛ فالدّولة التُّركية قبل حُكومة حزب العدالة والتّنْمية كانت ترى

مستقبلها مع الغرب، ولهذا حرصت على انضمامها للناتو، إضافةً لمحاولاتها الحثيثة للانضمام إلى الاتّحاد الأوروبي.

إلّا أن تركيا في ظِل حُكومة العدالة والتّنْمية ذات الخلفية الإسلامية وذات التوجُّه الشَّرْقي والإسلامي سعت لتعزيز حُضورها في العالمين العربي والإسلامي، وظهر هذا الأمر من خلال تَحَسُّن علاقة تركيا مع غالبية الدّول الإسلامية والعربية، كما حصلت تركيا على عضوية جامعة الدّول العربية بصفة مراقب، وتعزّز هذا الاتّجاه بعد فشل تركيا في الانضمام للاتّحاد الأوروبي، وفي العالَم الإسلامي تصطدم زعامة تركيا بمنافسين أقوياء أبرزهم إيران والسعودية ومصر، ولهذا كانت الثَّوْرة السّورية بالنِّسْبة لتركيا فرصة لسحب بعض الأوراق من يد إيران، هذا من جهة ومن جهة أخرى رغبت تركيا في عدم تفرُّد السُّعودية في السّاحة السّورية، وبالتّأكيد فإن كل هذا الأمر كان رهينة لتوقُّعات إقليمية ودولية بسرعة سقوط النّظام السّوري، كما تعزَّزت هذه الرَّغبة التُّركية بعد سقوط نظام حسني مبارك في مصر ووصول حُكومة متوافقة مع الحُكومة التُّركية.

تعزيز الصّورة الأخلاقية والإنسانية للدولة التُّركية

سادت لعقود طويلة صورة سلبية عن الدّولة التُّركية لدى الدّول العربية، وبسبب هذه الصورة كتب التاريخ الحديثة التي حملت الدّولة العُثْمانية الجزء الأكبر من المسؤولية عن تخلُّف العرب وتراجع دورهم الحضاري، وممّا عزَّز هذه الصورة الانكفاء الرسمي التُّركي عن المشهد العربي، فلم تقم الحكومات التُّركية المتعاقبة بأي أمر لتحسين هذه الصورة، وبدأت هذه الصورة بالتغيُّر مع وصول حزب العدالة والتّنْمية لزعامة تركيا، فبدأت تركيا ببناء قوّتها النّاعمة بالتدريج، وترافق هذا الأمر مع ازدياد القَبول الشعبي العربي والإسلامي للدولة التُّركية.

كما شهدت شعبية حزب العدالة والتّنْمية وعلى الأخص شعبية الرئيس أردوغان صعودًا تدريجيًّا لدى الشُّعوب العربية، وممّا ساعد في صعود شعبية حزب العدالة والتّنْمية وقائده أردوغان المواقف التُّركية الصّارمة تِجاه القضية الفلسطينية، بدءًا

من قضية سفينة مَرْمرة التُّركية التي سعت لكَسْر الحِصار الإسرائيلي على قطاع غزّة(1)، إضافةً لمغادرة أردوغان مؤتمر دافوس عام 2009م احتجاجًا على خطاب الرئيس الإسرائيليّ(2)، فتركيا سعت لتعزيز قوّتها النّاعمة وتعزيز حضورها الشّعبي عربيًّا وإسلاميًّا.

وبعد بَدْء الثّورات العربية لا سيما بعد السُّقوط السّريع لحكومتي تونس ومصر قامت تركيا بدَعْم الثّوْرة السّورية؛ وذلك لتَعْزيز صورتها الإيجابية بوصفها مُناصِرة للشُّعوب وللنّزَعات التّحَرُّرية.

وفيما يتعلّق بسوريا؛ فقد ربطت أردوغان ببشار الأسد علاقة صداقة شخصية، فوقوف تركيا إلى جانب الثّوْرة السّورية عزّز صورة الرئيس التُّركي بأنّه مستعد للتضحية بعَلاقاته الشّخصية مقابل مبادئه، وهذا الأمر يُعزّز بشكلٍ واضح القوة النّاعمة التُّركية، كما يعزّز من الحضور التُّركي العربي والإسلامي.

البناء على المواقف الدولية الداعمة للثّوْرة السّورية

ساهم الانتشار السّريع لثورات الربيع العربي والسُّقوط الدراماتيكي لنظامي الحُكْم في تونس ومصر إلى اتّخاذ غالبية الدّول العالمية مواقف داعمة لأي ثورات جديدة كالثّوْرة السّورية واليمنية، كما أن سلوك النّظام السّوري والمتعارض مع سياسات الدّول الغربية في المنطقة وتوصيفه ضِمْن مِحْور الشّر وفقًا للتّوصيف الأمريكي ساهم في تحشيد الدّعْم الغربي السّريع للثّوْرة السّورية، وهذا ما شجّع الحُكومة التُّركية على دَعْم الثّوْرة السّورية؛ وذلك للاستفادة من المواقف الدولية، لا سيما الموقف الأمريكي.

كُل هذه الأسْباب شجّعت تركيا على الدّعْم المبكّر للثّوْرة السّورية، وبالتّأكيد لا تنحصر أسْباب دعم الحُكومة للثّوْرة بهذه الأسْباب، ولكن تم عرض أهم هذه الأسْباب.

1. Migdalovitz, Carol. Israel's Blockade of Gaza, the Mavi Marmara Incident, and Its Aftermath. Congressional Research service, June 23, 2010.

2. WRAP Turkish Prime Minister leaves the stage after clash with the director of the debate on Gaza. YouTube, 21 July 2015, on site: https://cutt.us/zFMQf

سوريا والمنطقة العربية تُشَكِّل مجالًا حيويًّا لتركيا

طموح تركيا بلعب دور إقليمي وحتى عالمي يحتاج لمجال جيوسياسي ينتشر نفوذها فيه، وعلى الرغم من العلاقة الطيبة التي جمعت تركيا بسوريا، إلّا أن تركيا كانت تطمح لدور أكثر فاعلية وأهمية في المنطقة، وعمومًا تُشَكِّل سوريا المجال الجيوسياسي الأكثر أمنًا لتركيا لا سيما أن هذا المجال قد ينجم عنه تنافس مع قوى إقليمية يمكن التعامل معها وحتى التغلُّب عليها، أو الوصول لتفاهمات معها، كإيران والسعودية، بينما المجالات الأخرى قد تقود تركيا لاصطدام مع قوى عالمية لا تتمكَّن تركيا من مقارعتها، فمنطقة القوقاز على سبيل المثال تُشَكِّل عمقًا إستراتيجيًّا لتركيا إلّا أنَّها قد تصطدم مع روسيا في هذه المنطقة، فالقوقاز مجال حيوي لروسيا ولن تسمح لتركيا بالتمدُّد في هذا المجال، كما أن ألبانيا والبوسنة وعموم منطقة البلقان هي الأخرى تُشَكِّل عمقًا إستراتيجيًّا لتركيا، لكنَّها قد تصطدم مع الاتّحاد الأوروبي، لذلك تُشَكِّل سوريا المجال الحيوي الأكثر أمنًا لتركيا، ويُشَكِّل المُنافِسون لها قوًى مُتَواضِعة نسبيًّا مقارنةً بالقوى العالمية لذلك يمكن التعامل مع هؤلاء المنافسين، وهذا ما دفَع تركيا لاختيار سوريا كمجال حيوي وجيوسياسي لمد نُفوذها إليه، وشكَّلت الثَّوْرة السّورية فرصة للتمدُّد التُّركي باتّجاه الجنوب باتّجاه سوريا والمنطقة العربية.

مظاهر وأشكال الدَّعْم التُّركي للثَّوْرة السّورية

قدَّمت تركيا الدَّعْم للثَّوْرة السّورية في بدايتها بنوع من الحذر، فحاولت لعب دورًا متوازنًا بين النّظام السّوري وبين المطالب الشعبية، وعمومًا يمكن القول بأن السّياسة التُّركية في التّعامُل مع الثَّوْرة السّورية ونتائجها قد مرَّت بأربع مراحل متمايزة؛ هي مرحلة التّحرُّك الحَذِر الأُحادي الجانب، وثانيًا مرحلة المُشارَكة المُتَرَدّدة، وثالثًا السّياسة الاستباقية الأحادية، والتي تَمَثَّلَتْ بالتّدَخُّل العَسْكَري في الشَّمال السّوري، ورابعًا العودة للتّعامُل الحَذِر.

قدَّمت تركيا الدَّعْم السّياسي واللّوجستي والإعلامي والإنساني وحتى العَسْكَري

للثَّوْرة السّورية، ويمكن توضيح صور الدَّعْم التُّركي للثَّوْرة السّورية من خلال النِّقاط التالية:

• **سياسة الباب المفتوح:** اتَّبعت تركيا سياسة الباب المفتوح مع اللّاجِئين السّوريّين كوسيلة لدَعْم الثَّوْرة، فتم فَتْح الحدود لاستقبالهم، فخلال عدّة سنوات من الثَّوْرة تجاوز عدد اللّاجِئين السّوريّين في تركيا أكثر من 3,6 مليون لاجئ(1).

• **فَتْح الأراضي التُّركية لعمل المعارضة السّورية:** منذ بداية الثَّوْرة السّورية سمحت تركيا للمعارضة السّورية بالعمل على أراضيها، إضافةً لتنظيم الاجتماعات والمؤتمرات، فعلى الأراضي التُّركية تم افتتاح فروع ومكاتب للمجلس الوَطَني السّوري، ولاحقًا مكاتب للائتلاف الوطني لقوى المعارضة السّورية، فخلال سنوات الثَّوْرة السّورية يمكن ملاحظة أن تركيا كانت الدّولة الأكثر احتضانًا للمعارضات السّورية.

• **الضَّغْط السّياسي والاقتصادي على النّظام السّوري:** بدأت تركيا مع انطلاق الثَّوْرة السّورية بالضَّغْط السّياسي والاقتصادي على النّظام، ومن الملاحظ هنا أن الضغط التُّركي أخَذ شكلًا تصاعديًّا، وذلك تماشيًا مع التطوُّرات الدّاخِلية السّورية، كما أنَّه من الملاحظ أن تركيا لم ترغب بالدَّعْم المطلق للثَّوْرة لحين تَبَيّن مستقبلها ولحين التحقُّق الدَّقيق من الموقف الدَّولي منها، ولذلك بدأت بدَعْم بسيط تمثّل بالتصريحات السّياسية المنتقدة للنظام السّوري مِن قِبَل القيادة التُّركية، فبعد الشهور الأولى للثَّوْرة بدأ المسؤولون الأتراك توجيه انتقادات حادّة للأسد ولنظامه، وفي 15 أغسطس 2011 صرَّح وزير الخارجية التُّركية بأن "الحديث مع النّظام السّوري انتهى"(2)، وكان هذا التصريح بمثابة إعلان لتخفيض التّمثيل الدبلوماسي التُّركي في سوريا، ولاحقًا حظرت تركيا أجوائها السيادية أمام الطيران السّوري

1. Syria emergency. The UN refugee agency, on site: https://cutt.us/p9V9n

2. Turkey to press Syria to end bloodshed, The Guardian, 20 August 2011, on site: https://cutt.us/CxFDG

بحُجّة نَقْل أسلحة للنظام من روسيا، وازداد الحماس التُّركي لفَرْض عقوبات إضافية على النّظام بعد قرار جامعة الدّول العربية بتجميد عضوية سوريا وفَرْض عقوبات اقتصادية وسياسية عليه، ولاحقًا وسَّعت تركيا حزمة العقوبات لتشمل الحظر المالي وتجميد أصول المُؤسّسات الرَّسْمية في تركيا، وقطعت تركيا عَلاقاتها الدبلوماسية مع النّظام السّوري بشكلٍ تامّ في 30 أيار / مايو 2012(1).

• **الدَّعْم العَسْكَري واللوجستي:** قدَّمت تركيا الدَّعْم العَسْكَري واللوجستي المُباشِر وغير المُباشِر للثَّوْرة السّورية، وبدأ هذا الدَّعْم في نهاية السَّنة الثانية من عُمْر الثَّوْرة، وتَمَثَّل هذا الدَّعْم بإنشاء معسكرات لتدريب مقاتلي المعارضة على الأراضي التُّركية، إضافةً لتقديم السِّلاح للمُعارَضة، والَّذي أكَّدته مصادر أُمَمية إضافةً لقادة ميدانيّين في قوّات المُعارَضة السّورية(2).

1. Turkey imposes economic sanctions on Syria, BBC, 30 November 2011, on site: https://cutt.us/r7X7h

2. Turkish intelligence helped ship arms to Syrian Islamist rebel areas. Reuters, 21 May 2015, on site: https://cutt.us/k0e3D

المبحث الثّالث

التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري

يُعْتَبر التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري تغيُّرًا واضحًا في طريقة التّعاطي التُّركية مع الأزمة السّورية، وتم هذا التّدَخُّل على ثلاث مراحل؛ الأولى عام 2016 والتي أطلقت عليها الحُكومة التُّركية "عملية درع الفرات"، والثانية عام 2018 والتي تَم تسميتها بـ "عملية غُصْن الزيتون"، والثالثة عملية "نَبْع السلام" عام 2019، واستغرقت عملية درع الفرات ستة أشهر، وانتهت بالسَّيْطَرة على 2,000 كم2، وبلغت مساحة منطقة غُصْن الزيتون 2,000 كم2، وبلغت مساحة منطقة نَبْع السَّلام 4,000 كم2، لتكون بذلك مساحة منطقة التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي الإجمالية في الشَّمال السّوري 8,000 كم2(1).

وفي هذا المبحث ندرس الظُّروف الإقليمية والدولية التي سبقت ورافقت عملية التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي، إضافةً لدراسة الأسْباب التي دفعت تركيا لهذا التّدَخُّل.

الظُّروف الإقليمية والدولية التي سبقت ورافقت التّدَخُّل التُّركي في الشَّمال السّوري

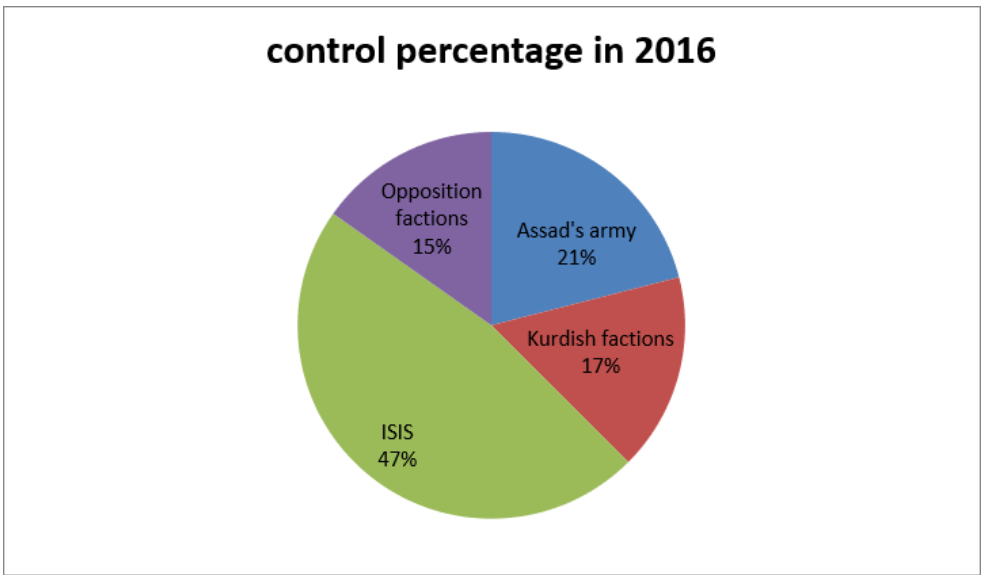
شهدت الأزمة السّورية تغيُّرات وتحوُّلات جذرية خلال السَّنوات التي سبقت التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي، فتحوَّلت من ثورة ضد نظام سياسي إلى حرب أهلية بمشاركة دولية؛ فالعديد من الدّول بات لها تدخُّل عَسْكَري مُباشِر في الأزمة السّورية، بدءًا من حلفاء النّظام والمُمَثّلين بمقاتلي حزب الله والحرس الثوري الإيراني، والوُجود العَسْكَري الرّوسي المباشِر الّذي بدأ عام 2015، إضافةً لقوات أخرى داعمة

1. Al-Hilu, Khayrallah. The Turkish Intervention in Northern Syria: One Strategy, Discrepant Policies. European university institute. 14 January 2021.

للمعارضة أو قوات دولية كقوات التحالُف الدولي التي دخلت سوريا جويًّا لمُحارَبة تنظيم داعش، ولاحقًا تدَخَّلت الولايات الأمريكية عَسْكَريا بشكلٍ مُباشِر من خلال إحداث عدّة قواعد عَسْكَرية في شرق البلاد بهدف دَعْم القوات الكردية، إضافةً لقاعدة عَسْكَرية أمريكية في أقصى الجنوب الشَّرْقي وتحديدًا في التنف.

وبشكلٍ عامّ يمكن تقسيم الظُّروف الإقليمية والدولية التي سبقت ورافقت التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي إلى مجموعتين من الظُّروف؛ وهي ظُروف الدّاخِلية السّورية، والظُّروف الإقليمية والدولية، وفيما يلي نُبيِّن تفاصيل كلا المجموعتين.

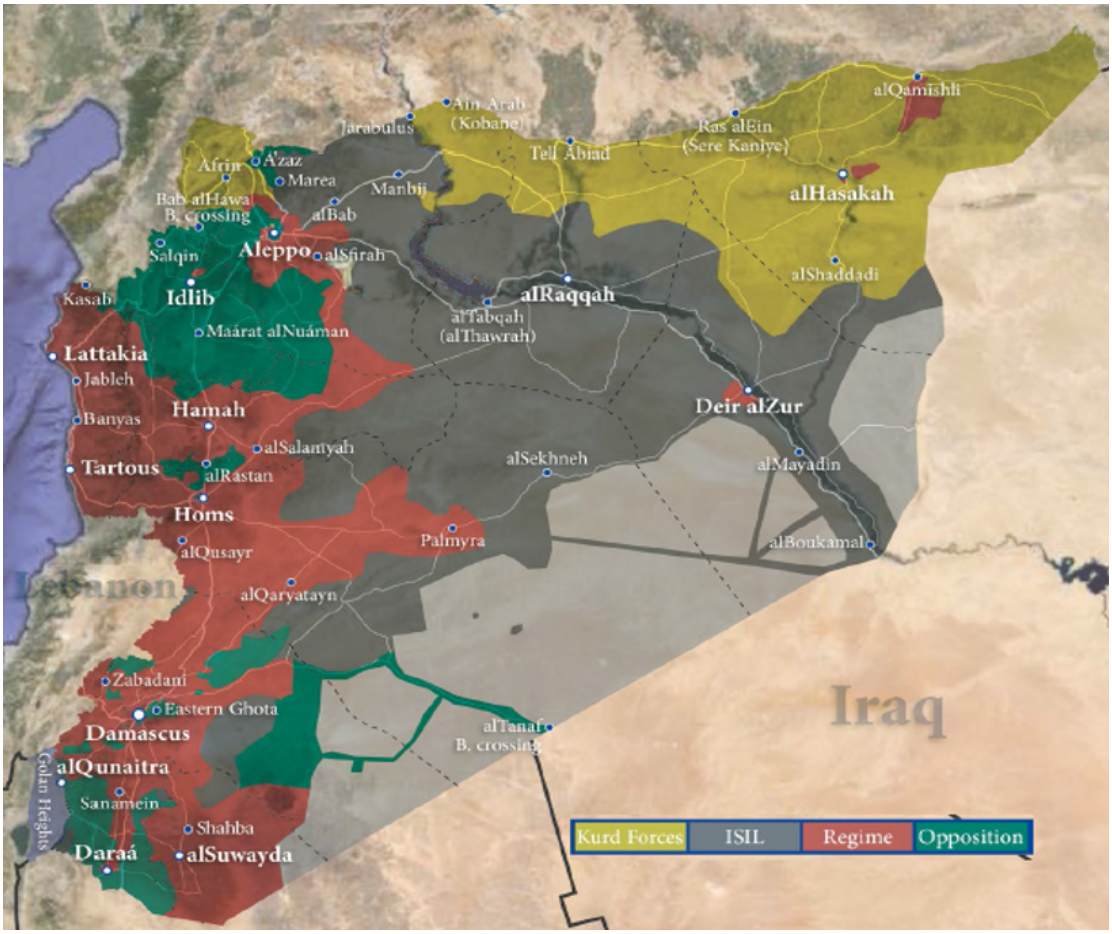
الظُّروف الدّاخِلية السّورية: تحوَّلت الثَّوْرة في سوريا منذ عام 2013 إلى العسكرة التامّة، ورافق هذا التحوُّل نشاط التّيّارات الإسلامية على حساب المعارضة المعتدلة، وتمكَّنت تلك الفصائل من تحجيم دور الفصائل المعتدلة وعلى رأسها الجيش الحُر، لتغدو المساحات التي يسيطر عليها مقاتلو الجيش الحُر ضئيلة للغاية على حساب تمدُّد الفصائل الإسلامية، فقبيل التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي عام 2016 كانت نِسَب سيطرة القوات المُتَصارِعة في سوريا كالتالي:



رسم توضيحي 1: توزع السَّيْطَرة في سوريا عام 2016، المصدر:

Narbone, Luigi. Inside wars, European university institute, 25 may 2016.

ولتوضيح هذا الأمر بدِقّة سنورد فيما يلي خريطة سوريا التي تُبَيِّن مواقع سيطرة القوى المُتَصارِعة في سوريا قبل التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري.



خريطة سوريا: توزّع السَّيْطَرة في سوريا عام 2016، المصدر:

Narbone, Luigi. Inside wars, European university institute, 25 may 2016.

ففي عام 2016 تنامت قوة الفصائل الكردية لا سيما بعد سيطرتها على أهم منابع النّفط في سوريا، وبهذا وفَّرت التّمويل اللّازم لها، إضافةً لتَلَقّيها الدَّعْم العَسْكَري والسّياسي من الولايات المتَّحِدة الأمريكية، وهذا الأمر أثار مخاوف الحُكومة التُّركية، وذلك نتيجة الخشية من وجود نية انفصالية لدى هذه الفصائل، وبالتّالي تعزيز المشكلة الكردية في تركيا، ناهيك عن تَشْكيل هذه القوات مِنَصّة لدعم قوّات حزب العُمّال الكردستاني المناهض لتركيا.

كما شهدت الأعوام بين 2014 - 2016 تنامي قوة تنظيم داعش، وبالتّالي تشكيله

تهديدًا حقيقيًّا لأمن المناطق الحدودية التُّركية لا سيما بعدما استطاع السَّيْطَرة على مناطق حدودية بين سوريا وتركيا وهي مناطق الباب ومنبج وجرابلس، كل هذا ترافق مع تراجُع قُدْرة تركيا على التّأثير الدّاخِلي في سوريا، فالفصائل المدعومة تركيًّا كانت تتراجع باستمرار، فلم تَعُد هذه الفصائل تُشَكِّل ثقلًا حقيقيًّا يمكن لتركيا الاستفادة منه، ولهذا كان لا بُد من التّدَخُّل المباشر لتعديل ميزان القوى على الأرض إضافة لإبعاد الخطر عن الحدود التُّركية.

وعمد تنظيم داعش على استهداف بعض الأهداف التُّركية لا سيما بعد إعلان تركيا انضمامها للتَّحالُف الدولي ضِد تنظيم داعش في عام 2015، كما سمحت تركيا للقوات الكُردية بالعبور ضمن أراضيها للمُساهَمة في الحرب على داعش بعد حِصاره لمدينة عين العرب "كوباني"، وهذا ما سبَّب ارتفاعًا في وتيرة استهداف داعش للأهداف التُّركية، وبذلك يمكن القول بأنه ومع تراجُع قوة فصائل المُعارَضة المدعومة تركيًّا باتت الأراضي السّورية تُشَكِّل تهديدًا متصاعدًا للأمن التُّركي.

الظُّروف الإقليمية والدولية

بدأت تركيا بالمطالبة بمنطقة آمنة ضمن الأراضي السّورية منذ اندلاع الثَّوْرة السّورية، ولكن هذه المطالب التُّركية لم تَلْق دعمًا دوليًّا، وحاولت تركيا في العديد من المناسبات الترويج لهذه الفكرة من عدّة مُنْطَلقات؛ الأولى بدافع إنساني وذلك لتأمين منطقة داخلية آمِنة يلجأ إليها السّوريّون. والثاني بدافع أمْني، وذلك بهدف إبعاد مصادر الخطر عن الحدود التُّركية، مع أن الحُكومة التُّركية وقبل عام 2015 كانت تُصِر على أن أي منطقة آمنة تُقام في الشَّمال السّوري لا تَخْدم مصالح تركية ذاتية بل هي خدمة للسّوريّين، والثالث بدافع تخفيف العبء عن الاقتصاد التُّركي لا سيما بعد ازدياد أعداد اللّاجِئين السّوريّين وباتوا يُشَكِّلون ضغطًا كبيرًا على الاقتصاد التُّركي؛ فالمنطقة الآمِنة يمكن أن تَسْتوعب أعدادًا من اللّاجِئين السّوريّين، أو على الأقل تضمن عدم تدفُّق مَوْجات جديدة من اللّاجِئين إلى الأراضي التُّركية.

شهدت البيئة السّياسية الإقليمية والدولية تبدُّلات واضحة لناحية المواقف من

الأزمة السّورية، فازداد الدَّعْم العَسْكَري المُقدَّم للأسد، كما شهدت العَلاقات التُّركية الروسية توترًا واضحًا عقب قيام تركيا بإسقاط مقاتلة حربية روسية عام 2015(1)، وبنتيجة هذه الحادثة فرضت روسيا عقوبات اقتصادية على تركيا، وتراجَع مستوى التّنسيق والتّواصُل بين الدّولَتَيْن لحدوده الدُّنيا، وهذا التّوَتُّر قوَّض أي آمال تركية بالتّدَخُّل العَسْكَري في الشَّمال السّوري، فهذا الأمر لا يمكن أن يتم بدون توافق من القوى الفاعلة الإقليمية والدولية.

شهد عام 2016 بدء انفراج العَلاقات بين روسيا وتركيا، وذلك من خلال ترتيب عدّة لقاءات سياسية على عدّة مستويات، وهذا التّوافُق الروسي التُّركي عزَّز الآمال التُّركية بفُرَص نجاح مشروع المنطقة الآمنة أو العازلة في الشَّمال السّوري، وهذا الأمر تكرَّر في العمليّات العَسْكَرية اللّاحقة في الشَّمال السّوري، فعملية نَبْع السلام تمَّت بتوافق تركي - روسي، تركي - أمريكي. وهنا لا بُد من الإشارة إلى أن تناقضات المواقف الإقليمية والدولية تجاه الأزمة السّورية عزَّزت من قدرة تركيا على التّدَخُّل العَسْكَري في الشَّمال السّوري بأقل الضُّغوط الممكنة.

الأسْباب الحقيقية للتّدَخُّل التُّركي في الشَّمال السّوري

كما أشرنا سابقًا فإن المشروع التُّركي للتّدَخُّل في الشَّمال السّوري تعود بداياته للسَّنوات الأولى من عُمر الثَّوْرة السّورية، ولكن لم تكن الظُّروف السّياسية الإقليمية والدولية مواتية لهذا المشروع، وهنا لا بُد من الإشارة إلى أن الأسْباب التي قادت تركيا لهذا التّدَخُّل لم تنشأ دفعةً واحدةً، بل تَشَكَّلَتْ وبشكل تدريجي مع تصاعُد الأزمة السّورية ومع تغيُّر البيئة السّياسية والأمنية والسّياسية داخل سوريا وخارجها، وتقسم أسْباب التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري لعِدّة حُزَم من الأسْباب، هي الأسْباب الإستراتيجية، والأمنية والأخلاقية والسّياسية الدّاخِلية، وفيما يلي تبيان لهذه الأسْباب بالتفصيل.

1. Agency France-Press. Russia Slaps Economic Sanctions on Turkey Over Jet Downing. Defense news, 28 November 2015, on site: https://cutt.us/9hQUg

الأسْباب الإستراتيجية

لسوريا أهمية إستراتيجية كبرى لتركيا، فهي البَوّابة الاقتصادية للعالم العربي، كما أنَّها تُمَثِّل عمقًا جيوبوليتيكيًّا لها، وتزداد أهمية هذا العُمْق الحيوي لتركيا في ظِل العَقَبات العديدة التي تواجه تركيا في الانتشار في مناطق أخرى، فكما أسلفنا في سياق هذه الوَرَقة فإن منطقة القوقاز تُعْتَبر محفوفة بالمخاطر السّياسية؛ نظرًا لحيويتها لروسيا، كما أن منطقة البلقان هي الأخرى ذات امتداد للاتّحاد الأوروبي، وممّا عزَّز أهمية سوريا بالنِّسْبة لتركيا تصاعد الخلافات بين تركيا والاتّحاد الأوروبي وفشل تركيا في النجاح في الانضمام له، ممّا دفَع الحُكومة التُّركية إلى تعزيز حضورها في الشَّرْق، حيث تُعْتَبر المُنافَسة أقل حِدّة، ولهذا سعت الحُكومة التُّركية لامتلاك أوراق عديدة في الأزمة السّورية تحميها من أي تهميش مُحتَمَل من الفاعلين الدوليّين الكبار، وعلى رأسهم الولايات المتَّحِدة الأمريكية وروسيا، وتمثَّلت هذه الأوراق بقضية اللّاجِئين السّوريّين والتهديد التُّركي بفتح الطريق أمامهم للعُبور إلى دول الاتّحاد الأوروبي، أمّا الأوراق الأخرى والتي تُعْتَبر الأكثر أهمية، فهي تدريب فَصائل المُعارَضة السّورية ودَعْمها لوجستيًّا، وهذا ما أعطى تركيا ثِقلًا على الأرض، إضافةً لاحتضانها الجسم الأهم من المعارضة السّورية.

ولكن وبعد عدّة سنوات من الأزمة السّورية بدأت الأوراق التُّركية تَفْقِد جزءًا من أهميتها؛ وذلك نظرًا لتراجع دور المعارضة السّياسية، وتراجع الاعتراف الدولي بها، إضافةً لتشرذُمها الحاد، فلم تَعُدْ تُشَكِّل ورقة ذات أهمية كبرى لا سيما بعد إهمال الدّول الكبرى لهذه المُعارَضة، وعلى صعيد ورقة الفصائل المُسلَّحة فهي الأخرى تَراجَع دورها؛ نظرًا للخسائر الميدانية الكبرى التي لحقت بها، وتنامي دور الفصائل المُتَشَدّدة على حساب هذه الفصائل، كما أن وَسْم بعض الفصائل بالإرهاب جَعَل من قضية الاعتماد عليها أمرًا محفوفًا بالمخاطر السّياسية لا سيما مِن قِبَل الولايات المتَّحدة الأمريكية والاتّحاد الأوروبي الَّذي صنَّف "هيئة تحرير الشام" (جبهة النُّصْرة سابقًا) كمنظَّمة إرهابية، وهذا ما أضعف هذه الورقة.

في ظِل هذه الظُّروف بات شَبَح إقصاء تركيا عن المشهد السّوري أمرًا واردًا، لا سيما أن العَلاقات الخليجية التُّركية لم تكن في أفضل أحوالها، والتي كانت تدعم فكرة إقصاء تركيا عن المشهد السّوري، ولذلك ولضمان استمرار الدور التُّركي، وضمان أن أي حل مستقبلي للأزمة السّورية لا بُد أن يأخذ المصالح التُّركية بعين الاعتبار؛ كان لزامًا على الحُكومة التُّركية التّدَخُّل في الشَّمال السّوري، وتعزيز مواقع الفصائل الموالية لها، إضافةً لضمان وُجود حقيقي يحميها من أي تهميش مستقبلي، ويضمن مشاركة تركية في أي حل مستقبلي، وبالتالي ضمان وجود واقع سوري سياسي مستقبلي لا يتعارض مع مصالح تركيا.

وفي ذات المحور شَكَّلت استعادة النّظام السَّيْطَرة على كامل مدينة حلب في نهاية عام 2016 ضربةً قاصمةً لجيش الفتح المُعارِض، والَّذي خسر غالبية قياداته وَجُزءًا كبيرًا من قواته البشرية في هذه المعركة إضعافًا للأوراق التُّركية، وذلك لأهمية مدينة حلب، إضافة لكون قوات النّظام كانت مُستَعِدّة لإعادة السَّيْطَرة على مناطق جديدة باتّجاه الشمال والاقتراب أكثر من الحدود التُّركية، وهذا الأمر أيضًا عزَّز من ضرورة التّدَخُّل العَسْكَري المباشر في الشَّمال السّوري.

الأسْباب الأمنية

سبَّبت الأزمة السّورية تهديدًا أمنيًّا مباشرًا لتركيا، فتعرَّضت الأراضي التُّركية لاعتداءات مباشرة، سواء كقذائف عابرة للحدود سقطت في الأراضي التُّركية أو من خلال استهدافات إرهابية للأراضي التُّركية، فعام 2016 على سبيل المثال والَّذي سبق أول عملية تدخُّل عَسْكَري تُركي يُعْتَبر من الأعوام الدّامية في تركيا، أبرزها تفجير مطار أتاتورك والَّذي أدَّى لمقتل 41 شخصًا وإصابة 239 آخرين، واعتداء حي بيازيد في إسطنبول، والَّذي أدَّى لمقتل 11 شخصًا وتَبَنّاه حزب العمال الكردستاني، ومقتل 12 سائحًا ألمانيًّا في هجوم انتحاري في حي السلطان أحمد في إسطنبول،

والَّذي تم تحميل مسؤوليته لتنظيم داعش(1)، إضافةً لعشرات الاعتداءات الأخرى، وهذا يوضّح بشكل جلي مقدار التهديد الَّذي تعرَّضت له تركيا جرّاء الأزمة السّورية. تصاعَد التّهديد الأمني الَّذي تتعرَّض له تركيا بعد وُصول تنظيم داعش إلى الحدود التُّركية، فسيطر على مناطق واسعة في شمال حلب، كمدينة الباب ومنبج وجرابلس وغيرها، وهذا ما عزَّز التّهديدات الأمنية لتركيا، ولعل التهديد الأهم والأخطر من وجهة النَّظر التُّركية هي تنامي قوة الفصائل الكردية، والتي باتت تُشَكِّل حاضنة لمشروع انفصال عن سوريا، وعلى الرغم من النفي المُتَكَرِّر للقيادة السّياسية الكردية لوجود أي نية انفصال لديها، إلّا أن هذا الأمر يُعْتَبر واردًا، وفي حال تم هذا الأمر فَسَيُشَكِّل دعمًا قويًّا للنَّزَعات الكردية الانفصالية داخل تركيا، كما سيُعزّز من قوة حزب العمال الكردستاني بعد وجود عُمْق ديمغرافي وسياسي وعَسْكَري له في سوريا؛ كل هذه المُعطيات تُثير قَلَق الحُكومة التُّركية، وهو ما عزَّز ضرورة التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي؛ وذلك لإبعاد الفصائل الكردية عن الحدود التُّركية، إضافةً لمنع وجود أي كيان كردي مستمر على طول الحدود السّورية التُّركية، فتقسيم مناطق السَّيْطَرة الكردية إلى قطاعات منفصلة يُضْعِف من فاعليتها، وبالتّالي يُقلّل من تهديدها وإن كان لا يلغيه، وهذا الأمر اعتمدت عليه تركيا بشكلٍ واضح في تسويق تدخُّلها العَسْكَري في الشَّمال السّوري لدى الأطراف الفاعلة الإقليمية والدولية، وهذا ما لوحِظ من خلال تصريح الرئيس الإيراني روحاني عام 2019 بأن إيران تتفهَّم المخاوف التُّركية حيال الشَّمال السّوري(2).

أسْباب أخلاقية

على الرغم من أنه غالبًا ما يتم اتّخاذ القرارات السّياسية بمنطق عقلي ومنهج علميّ؛ إلّا أنَّه لا يمكن إغفال دور الجانب الأخلاقي في اتّخاذ بعض القرارات، وهنا لا بُد

1. Istanbul Ataturk airport attack: 41 dead and more than 230 hurt. BBC, 29 June 2016, on site: https://cutt.us/algjR

2. Itzchakov, Doron. Turkey's Invasion of Syrian Kurdistan as Seen from Tehran. BESA Center Perspectives, No. 1,321, October 25, 2019, on site: https://cutt.us/RytD0

من الإشارة إلى أن الجوانب الأخلاقية في السّياسة تُعْتَبر مدخلًا لتحقيق أهداف سياسية غالبًا ما تكون بعيدة الأمد، فالقوة النّاعمة والتي تصاعَد دَورها في العقديْن السّابقيْن تعتمد بشكلٍ مُباشِر على الجانب الأخلاقي للسّياسة، سواءً أكان حقيقيًّا أو مزيفًا، فالمهم هنا هو نظرة الشُّعوب لهذه الأفعال، وبالعودة لأسْباب التّدَخُّل التُّركي في الشَّمال السّوري فلا يمكن إغْفال دور الجانب الأخلاقي في هذه التّدَخُّل، فالعامل الديني والموروث الثقافي لا يمكن تجاهله في العلاقة بين تركيا وسوريا، كما أن سوريا بقيت لأكثر من أربعة قرون تحت سلطة الدّولة العُثْمانية، وهذا ما يجعل الحُكومة التُّركية وعلى الأخص حزب العدالة والتّنْمية ينظر للأحداث في سوريا على أنها شأن تركي بشكل غير مباشر، وهذا ما يُقَدّم بعض التّبريرات الأخلاقية للتَّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري.

السّياسة الدّاخِلية التُّركية

تعرَّضت حُكومة العدالة والتّنْمية لانتقادات داخلية حادّة مِن قِبَل المُعارَضة لطريقة تعاطيها مع الأزمة السّورية بشكلٍ عامّ، ولتعاملها مع قضية اللّاجِئين بشكل خاص، فسياسة الباب المفتوح التي انتهجتها الحومة التُّركية مع اللّاجِئين سبَّبت تدفُّق الملايين منهم إلى تركيا، ممّا عرَّض الاقتصاد التُّركي الكُلّي والجزئي لضغوط غير مسبوقة، وهو ما حاولت المعارضة التُّركية استثماره سياسيًّا، وعلى رأسهم حزب الشَّعب الجمهوري المُعارِض، والّذي ومنذ بداية الأزمة السّورية ينتقد تعاطي حُكومة حزب العدالة والتّنْمية مع الأزمة السّورية، ويعتقد بأن التّعاطي الرسمي التُّركي مع الأزمة السّورية يهدف لتحقيق مصالح سياسية للحزب بعيدًا عن مصالح الدّولة التُّركية، وغالبًا ما حاولت المعارضة التُّركية الاستفادة من قضية اللّاجِئين السّوريّين في الضَّغط سياسيًّا على حزب العدالة والتّنْمية، إضافةً لمحاولة استثمار هذه القضية في الانتخابات البلدية، فغالبًا ما يُلاحَظ أن قضية اللّاجِئين السّوريّين

تُعْتَبر إحدى أبرز القضايا التي تتناولها البرامج الانتخابية للمرشحين(1). وهنا ولتَوْضيح هذه القضية فإنَّه يمكن القول بأن خسارة حزب العدالة والتّنْمية لبلديات إسطنبول وأنقرة في الانتخابات البلدية عام 2019 تعود للتباين في السّياسات الحزبية تجاه اللّاجِئين السّوريّين.

فقضية اللّاجِئين السّوريّين في تركيا باتت من القضايا المُهِمّة الّتي يتم التُّركيز عليها في تركيا، كما تُشَكِّل تهديدًا لشعبية حزب العدالة والتّنْمية وحتى لمستقبله السّياسي، وعلى ما يبدو فإن حزب العدالة والتّنْمية يُدْرك أن قضية اللّاجِئين قد تُهدّد مستقبله السّياسي، ولهذا يمكن القول بأن التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري، كان -بالإضافة للأسْباب السّابقة- متعلقًا بالمُتَغيّرات السّياسية التُّركية الدّاخِلية، فالمنطقة الآمنة التي أنشأتها تركيا في الشَّمال السّوري يمكن وصفها بأنها إخطار غير مباشر للأتراك بأنه من غير الضَّروري الانتظار لحين إيجاد حل سياسي للأزمة السّورية لإعادة اللّاجِئين السّوريّين، بل يمكن البَدْء بإعادتهم قبل حل الأزمة السّورية على اعتبار أن المنطقة الآمِنة في الشَّمال السّوري يمكن اعتبارها ملجأً مُؤقَّتًا لهم لحين حَل الأزمة السّورية.

إن الأسْباب السابقة تُشَكِّل مُجْتَمِعةً الدَّوافع الرئيسة للتَّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري، وبالتّأكيد فهي ليست متساوية في التّأثير، فالثِّقل النِّسْبي لكل سبب قد يختلف عن الآخر، وقد يكون من الصُّعوبة بمكان تحديد الثِّقَل النِّسْبي لهذه الأسْباب.

1. Fisunoğlu, Ali. Refugees and Elections: The Effects of Syrians on Voting Behavior in Turkey. International migration, Volume57, Issue2 April 2019, p 305.

خُلاصة واستنتاجات

بعد المُقارَبة التحليلية في سياق هذه الوَرَقة لأسْباب التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري، يمكن القول بأن الوَرَقة خلصت للاستنتاجات التالية:

1. شَكَّلَت الظُّروف السّياسية والعَسْكَرية في سوريا عاملًا داعمًا للقرار التُّركي بالتّدَخُّل العَسْكَري في الشَّمال السّوري.
2. شَكَّلَت خريطة التحالفات الدولية ذات الصِّلة بسوريا وبمنطقة الشَّرْق الأوسط بشكلٍ عامّ عاملًا داعمًا للقرار التُّركي.
3. قام التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري على عدّة دوافع؛ أهمّها الإستراتيجية والأمنية والأخلاقية والأوضاع السّياسية الدّاخِلية التُّركية.
4. قد يستمر التّدَخُّل العَسْكَري التُّركي في الشَّمال السّوري باستمرار الظُّروف الموجِبة لهذا التّدَخُّل.

قائمة المراجع

1. Agency France-Press. Russia Slaps Economic Sanctions on Turkey Over Jet Downing. Defense news, 28 November 2015, on site: https://cutt.us/9hQUg

2. Akmehmet, Hande. The Costs of Turkey's Foreign Policy in Syria, Atlantic council, November 30, 2015, on site: https://cutt.us/2NmrR

3. Al-Hilu, Khayrallah. The Turkish Intervention in Northern Syria: One Strategy, Discrepant Policies. European university institute. 14 January 2021.

4. Fisuno□lu, Ali. Refugees and Elections: The Effects of Syrians on Voting Behavior in Turkey. International migration, Volume57, Issue2 April 2019, p 305.

5. Itzchakov, Doron. Turkey's Invasion of Syrian Kurdistan as Seen from Tehran. BESA Center Perspectives, No. 1,321, October 25, 2019, on site: https://cutt.us/RytD0

6. Istanbul Ataturk airport attack: 41 dead and more than 230 hurt. BBC, 29 June 2016, on site: https://cutt.us/algjR

7. Migdalovitz, Carol. Israel's Blockade of Gaza, the Mavi Marmara Incident, and Its Aftermath. Congressional Research service, June 23, 2010.

8. Narbone, Luigi. Inside wars, European university institute, 25 may 2016

.

9. Orton, Kyle. The Secular Foreign Fighters of the West in Syria. SETA Foundation. Vol. 20, No. 3 Summer 2018, p 161.

10. Syria emergency. The UN refugee agency, on site: https://cutt.us/p9V9n

11. Teitelbaum, Joshua. Sharif Husayn ibn Ali and the Hashemite Vision of the Post-Ottoman Order: From Chieftaincy to Suzerainty. Middle Eastern Studies. Vol. 34, No. 1 Jan., 1998, p 112.

12. Traboulsi, Fawwaz. A History of Modern Lebanon. Brutish library, London, second published 2012, p5.

13. Turkey imposes economic sanctions on Syria, BBC, 30 November 2011, on site: https://cutt.us/r7X7h

14. Turkish intelligence helped ship arms to Syrian Islamist rebel areas. Reuters, 21 May 2015, on site: https://cutt.us/k0e3D

15. Turkey to press Syria to end bloodshed, The Guardian, 20 August 2011, on site: https://cutt.us/CxFDG

16. Yesiltas, Murat. NEIGHBORING A CIVIL WAR TURKEY'S BORDER SECURITY WITH SYRIA. Turkuvaz matbaacilik Yayincilik. 2015, p 15.

17. Yesilbursa, Behcet. The Baghdad pact. Anglo-American defense policies. Frank cass. 2005, p 9.

18. WRAP Turkish Prime Minister leaves the stage after clash with the director of the debate on Gaza. YouTube, 21 July 2015, on site: https://cutt.us/zFMQf